سلسلة قضايا اجتماعية وإسلامية
العدد (٦٢) رجب ١٤٣٣هـ

مملكة البحرين
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الوحدة الوطنية في الإسلام

مفهومها. ضوابطها. مقاصدها

الجزء الأول

د. وصفي عاشور أبو زيد
رئيس مركز بناء للبحوث والدراسات
جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الوحدة الوطنية في الإسلام

مفهومها. ضوابطها. مقاصدها

الجزء الأول

د. وصفي عاشور أبو زيد

رئيس مركز بناء للبحوث والدراسات

جمهورية مصر العربية

ما في هذا الكتاب لا يعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

تقديم

الحمد لله الذي خلقنا شعوبا وقبائل لنتعارف ونتقارب ونتآلف ونتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار الأبرار الذين اهتدوا بهديه إلى يوم الدين...

وبعد

فمن يمن الطالع أن نقدم في هذه السلسلة الطيبة «قضايا اجتماعية وإسلامية» هذا العدد الذي يتحدث عن أمر قلَّ الحديث عنه من الدعاة تأسيسا وترسيخا لمفهوم الوحدة الوطنية على أساس ديني، وتُرك المجال لمن هم أقل ارتباطا بالأصول العقدية، والمكارم الأخلاقية، والأحكام الشرعية،

ولذا جعلوا المواطنة قومية عرقية، وعصبية جاهلية، وانسلاخا من الإنسانية، حيث إن الإسلام يبني المواطن والإنسان الصالح معا فهو نعم المواطن موقعا، ونعم الإنسان موقفا، وهذا هو جوهر الوحدة الوطنية بين الولاء لأرض نبت عليها، وتنسم من عبيرها، وتنعم بخيراتها، وتشبع بحب

أهلها، والقيم والمبادئ والمواقف الأخلاقية التي تجعله إنسانا أينما حل بأرض الله تعالى، وكلما تزكى المسلم أو المسلمة إيمانيا، يزداد عمقا في مفهوم وحدة المواطنة في جوانبها الخمسة التالية:

١) لله عبادة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦).

٢) للناس رعاية؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

٣) للأرض عمارة؛ لقوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ (هود: من الآية٦١).

٤) للقانون طاعة فيما لا يخالف شرعا، لقوله تعالى: ﴿فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ

ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾ (محمد :٢٠- ٢١).

٥) للسلطة معاونة فيما لايخالف شرعا؛ لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ (المائدة: من الآية٢).

وكم نحتاج إلى بحوث تأصلية لموضوع الوحدة الوطنية وتطبيقية على أرض الواقع، وهذا البحث

الذي يتناول في جزئه الأول مفهوم وحدة المواطنة لغة واصطلاحا، والأدلة الشرعية من صريح القرآن الكريم، وصحيح السنة النبوية ما يؤكد مفهوم الوحدة الوطنية وأسبابها، وأنواعها، وقضاياها التي تؤكد أن الولاء الديني يعزز الولاء للوطن، وأن تحقيق الوحدة الوطنية من المقاصد الاجتماعية

في الإسلام، تمهيدا للجزء الثاني للحديث تفصيلا عن ضوابط ومقاصد الوحدة الوطنية.

أحسب أن هذه الدراسة التأصيلية تحتاجها شعوبنا الإسلامية، قبل أي وقت مضى، وبخاصة التيار الإسلامي المتصاعد، خاصة أنها تصدر من الدكتور وصفي عاشور أبو زيد الباحث المدقق المحقق

الموفق من اللّٰه بما حباه اللّٰه من رسوخ علمي وبناء رباني، ووعي واقعي، وهمّ على أمته يجعله يصل الليل بالنهار أداء لرسالته و تبليغا لدعوته.

أسأل اللّٰه أن ينفع بعلمه، وأن يجزيه اللّٰه عنا خير الجزاء، وأن يبارك في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية رئيسا وأعضاء وإداريين

على حرصهم على نشر هذه البحوث والدراسات المتميزة في هذه السلسلة المباركة.

أ.د. صلاح الدين سلطان

المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مملكة البحرين

رجب ١٤٣٣ هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، واتبع هداه، وبعد،،

فإن موضوع «الوحدة الوطنية»، والحديث عن «المواطنة» وما يتفرع عن ذلك من موضوعات، من الأمور

المهمة في عصرنا، وبخاصة بعد أن تشكلت الدولة المدنية الحديثة بكل أبعادها ومعانيها ودلالاتها؛ ذلك أنه - بعد تفتيت الدولة الإسلامية الكبرى - لم يعد أمامنا إلا الحديث عن وحدة أوطان مجزأة ومفتتة؛ حيث تجزأت الدولة الكبرى إلى دول، والدول إلى دويلات، والدويلات إلى أجزاء، فلا أقل من أن تكون هذه

الأجـزاء قوية النسيج الاجتماعي، متحدة المضمون الوطني، حتى يلتئم الشمل مـرة أخــرى، وتـعـود للأمة المسلمة وحدتها وقوتها وسلامة نسيجها الأكبر.

وإذا كـان الحـديـث عـن الـوحـدة الوطنية أمرا له أهميته وضرورته؛ فـإن الحـديـث عـن طبيعة الـوحـدة ومـفـهـومـهـا، وطـبـيـعـة الـوطـنـيـة

ومشروعيتها، وطبيعة قضاياها وضوابطها، ونظرة الإسلام لها، ومقاصد الإسلام من ورائها أمر أكثر خطورة، وأعمق أهمية، وأبعد أثرا؛ إذ به نقف على أهمية الوحدة الوطنية، وضوابط إجرائها بما لا يطغى على الانتماءات الكبرى، وما تحققه من نتائج، وما يُثمره تطبيقها من غاياتٍ ومقاصدَ وأهدافٍ تحققُ

السعادة لأبناء الوطن الواحد، وتجعله قوة متماسكة نحو النهضة والبناء الحضاري، كما تجعله صخرة قوية في وجه أي مؤامرات خارجية، إلى غير ذلك من مقاصد وغايات.

وهذا ما دعانا في هذا الظرف الدقيق التي تمر به أمتنا، إلى تناول هذا الموضوع الدقيق والخطير، وجاء تناولنا له في خمسة مباحث:

المبحث الأول: الوحدة وأهميتها. والمبحث الثاني: الوطنية ومشروعيتها. والمبحث الثالث: من قضايا الوحدة الوطنية. والمبحث الرابع : ضوابط الوحدة الوطنية. والمبحث الخامس: من مقاصد الوحدة الوطنية.

سائلا الله تعالى أن يجعل فيه النفع، وأن يسهم في إصلاح ما فسد من

تصوراتنا، وتقوية ما ترهَّل من نسيج مجتمعاتنا وصراعاتها الداخلية، وأن يتقبله بقبول حسن، إنه أقرب مسئول وأكرم مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الفقير إلى عفو الله

د. وصفي عاشور أبو زيد

القاهرة ١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ

الموافق ٣ مايو ٢٠١٢م

نهتم في هذا البحث بالحديث حول مفردات «الوحدة الوطنية» قبل الحديث عن تركيبها الوصفي؛ حيث يشمل الحديث عن الوحدة والوطنية، والوحدة الوطنية، ثم نتحدث بعد ذلك عن ضوابط الوحدة الوطنية، ثم عن مقاصدها، وسنركز على الوحدة باعتبارها المدخل الأقوى للموضوع والهدف منه.

المبحث الأول:
الوحدة وأهميتها

أولا: تعريف الوحدة:

جاء في المعجم الوسيط: «(وَحَدَ) (يَحِدُ) حِدَةً وَوَحْدًا ووُحُودًا، ووَحْدَة: انفرد بنفسه. و- الشيءَ: وَحْدًا: أَفْرَدَهُ... (اتحد): انفرَدَ. والشيئانِ أو الأشياءُ: صارتْ شيئًا واحدًا»[1].

---

(١) المعجم الوسيط: ٢/ ١٠٥٨. مجمع اللغة العربية. الطبعة الثالثة.

ومعنى هذا أن الوحدة التي نعنيها هنا هي الاتحاد، أي ضد التفرق والتشرذم، فهي الاتحاد والقوة والصف الواحد والكلمة الواحدة، والبحث عن المشتركات التي يمكن التلاقي عليها؛ سعيًا لتحقيق مصالح مشتركة، ودرءًا لمفاسد تضر الجميع.

ثانيًا: الوحدة في القرآن الكريم:

من علامات أهمية موضوع من الموضوعات وروده بكثرة في القرآن الكريم، وموضوع الوحدة من الموضوعات التي حظيت باهتمام القرآن الكريم وكثرة ورودها، سواء كان الورود نصًّا بالاسم أم كان بالمعنى، كما لاقى هذا الموضوع

رواجـا كبـيرا لا سيما في واقعنا المعاصر الذي يستشهد فيه الدعاة والعلماء بآيات الوحدة ومعانيها لانتشال الأمة من وهدتها وإنقاذها من أزمتها في محاولة للمِّ الشمل ورأب الصدع، وإعـادة الأمـة إلى وحدتها وقوتها، وتسييرها على صراط دينها القويم.

ومـا من شك في أن تحقيق وحدة

الأمـة من المقاصد العظيمة لهذا الـديـن، فـقـد شـرع لـهـا الإسـلام مـا يـوجـدهـا ويزكيها، وحـدد لها مـا يبقيها ويقويها، وبـين لها ما يتعهدها وينميها، كما حـرَّم كل شيء يأتي عليها أو ينقضا، ويوهنها أو يضعفها، أو يعمل على أن تتنكب الأمـة صراط القوة وطريق العزة وسبيل الوحدة بين المؤمنين.

فكيف ورد الحديث عن الوحدة في القرآن الكريم، وما هي جوانب الموضوع التي جاءت بها آياته، وماذا شرع الإسلام لوجودها وبقائها، وماذا حرم مما ينقضها أو يضعفها، وما هي الوسائل والطرق التي توصل لها، وماذا عن التدابير الوقائية مِنْ فقدها وضياعها؟ هذا ما نجيب عنه في السطور التالية.

١- الأمر بها صراحة:

فقد أمر الله أمة الإسلام في القرآن أمرا صريحا أن تتحد وتقوى، والأمر يفيد الوجب كما يقول الأصوليون، فقال تعالى:

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ

ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾. آل عمران ١٠٣.

وقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾. الأنعام ١٥٣.

وقال: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾. الحج: ٧٨.

٢- النهي عن الفرقة والاختلاف:

ومع أن الآيات السابقة تضمنت النهي عن الفرقة مع الأمر بالوحدة فإن هناك آيات نهت أيضا عن الفرقة فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾. الأنفال

٤٦. وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾. آل عمران: ١٠٥.

وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾. الروم: ٣١-٣٢.

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ

شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾. الأنعام ١٥٩. ولا يخفى ما فيه من تنفير عن التفرق والتشيع والتحزب الممقوت.

٣- صور وحدة الأمة:

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الصور التي يحب الله تعالى أن يكون المؤمنون فيها صفا واحدا،

ويدا واحدة، وأمة واحدة، ومن هذه الصور:

أ) حال الأمة بشكل عام: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾. المؤمنون: ٥٢. ومثلها آية رقم «٩٢» من سورة الأنبياء.

ب) في النفير العام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾. النساء: ٧١.

ت) في القتال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾. الصف: ٤.

وقال: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾. التوبة: ٣٦.

هذا بالإضافة إلى طريقة أداء النسك في شعائر العبادات الكبرى من صلاة وصيام وحج، فنسكها

يـؤدى بطريقة واحـدة تـرى فيها القوة والوحدة والتماسك؛ ولهذا نـرى فيها الأمـر بصيغة الجمع: «وأقيموا الصلاة»، «آتوا الزكاة»، وكذلك في أوامر أخرى كثيرة.

٤- أسباب الفرقة:

وردت في القرآن الكريم آيات تبين أسباب التنكب عن طريق الوحدة، والوقوع في براثن الفرقة والخلاف،

ومن ذلك:

أ) نزغ الشيطان واتباعه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾. الإسراء: ٥٣.

ب) المجادلة بغير علم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾. الحج: ٨. ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ

وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾. الإسراء: ٣٦. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾. سورة الحج: ٣. وفي الجدال بغير علم بث للتعصب وزرع للموجدة والبغضاء.

ت) إثارة الخصم: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن

دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٠٨﴾. الأنعام: ١٠٨. وإثارة الخصم تؤدي إلى الكبر والعناد وتهديد المجتمع بأمراض اجتماعية خطيرة.

ث) التنازع والعصيان: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ

وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا
تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ
ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ
وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو
فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾. آل
عمران: ١٥٢. وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟
فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. الأنفال:
٤٦. فانظر كيف كان الفشل

وذهاب الريح نتيجة حتمية للتنازع والاختلاف!!.

٥- أسباب الوحدة:

وكما بين القرآن الكريم أسباب الفرقة فقد رسم معالم الوحدة وبين الطريق إليها، فمن أسباب الوحدة:

أ) طاعة الله ورسوله: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا

عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾. النور: ٥٤. ولا شك أن من معاني الهدايةِ الهدايةَ إلى طريق الوحدة والتمسك بها. وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ ﴾. النور: ٥١.

ب) التحاكم إلى القرآن والسنة:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾. النساء: ٥٩. وقال: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠ ﴾. الشورى: ١٠.

ت) التحدث بالقول الأحسن وليس

الحسن فقط، فإن كان هناك خياران للكلام: حسن وأحسن، وجب على المسلم أن يتخير الأحسن ويترك الحسن، ولا يخفى ما في هذا من عمل على الوحدة ونبذ للفرقة ودحض لأحابيل الشيطان: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ ﴾. الإسراء:

٥٣. وقال: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾. البقرة: ٢٦٣.

ث) الجدال بالتي هي أحسن وبخاصة مع المخالفين: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ

لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾. العنكبوت: ٤٦.

ج) الدعوة بالحكمة والموعظة

الحسنة: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾. النحل: ١٢٥. وقال: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ

أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٩. فالدعوة من خلال الحكمة يكون بتقدير الأمور تقديرا حسنا فيراعي الأولويات، ويقدم ما من حقه التقديم، ويؤخر ما من حقه التأخير، والموعظة الحسنة لترقيق القلوب، فالحكمة للعقل والموعظة للقلب، وهذا من شأنه أن يحقق

الوحدة.

ح) الإصلاح بين الإخوة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾. الحجرات: ١٠. وفيه من تقوية نسيج الصف المسلم الاجتماعي ما لا يخفى.

خ) التبين والتحقق من الادعاءات والأخبار: «يا أيها الذين آمنوا

إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين». الحجرات: ٦. وعدم التبين يؤدي إلى اتهام الآخرين بما ليس فيهم ما يؤدي إلى حالة من البلبلة والفتنة في المجتمع، وفي قصة الإفك خير شاهد.

د) الإعراض عن اللغو: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ

لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾. القصص: ٥٥. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾. الفرقان: ٧٢. ففضول الكلام وكثرته تؤدي إلى الوقوع في الأخطاء الأخلاقية والاجتماعية.

ذ) العفو والتسامي عن الجاهلين:

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾. الأعراف: ١٩٩.

وقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾. الفرقان: ٦٣. فالاشتباك مع الجاهلين يعطل عن إنجاز المهام، والوقوع في الشقاق والتنازع.

ر) دفع السيئة بالتي هي أحسن:

﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾. المؤمنون: ٩٦. وقال: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾. فصلت: ٣٤. وبين جزاء هذا السلوك في الآخرة فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ

سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ
وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن
كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾. الرعد: ٢٢-٢٣.

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا
صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا
رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾. القصص:
٥٤.

ز) الكفر بالطاغوت والإيمان بالله:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾.

البقرة: ٢٥٦.

وبهذا يكون القرآن قد رسم صورة متكاملة عن الوحدة، فقد أمر بها، ونهى عن ضدها، وبين أسباب

الفرقة، ورسم الطريق للوحدة وسبل الوصول إليها.

وإذا كنا ذكرنا أربعة أسباب للفرقة والاختلاف فقد ذكرنا أحد عشر سببا للوحدة والتماسك والتلاحم، وفيه إشارة إلى أن القرآن ركز على الأمر الإيجابي وهو ذكر أسباب الوحدة دون تركيز أو تفصيل في الأمر السلبي وهو أسباب الفرقة،

وفيه درس للدعاة والمصلحين أن يزرعوا في الناس الخير والرشاد والوحدة، وسوف يتولى الخير تلقائيًّا مطاردة الشر، ويعمل الرشاد على نفي الغي، وتقوم الوحدة بالقضاء على النزاع والفرقة، متى زرعنا هذه الإيجابيات بفهم وعلم وحكمة، ويقين وتجرد وإخلاص.

ثالثًا: الوحدة في السنة النبوية:

كما حرص القرآن الكريم على الوحدة والاتحاد من خلال ما بيناه من تصور للقرآن عن الوحدة، فإن السنة النبوية المشرفة حرصت على الوحدة أيضًا، وحذرت من الفرقة، وكل تصرفات النبي ﷺ كانت تصب في تحقيق هذا المقصد الكبير الذي

يهدف إلى جعل المجتمع والأمة كيانًا قويًّا متماسكًا لا تفلح معه مكائد داخلية، ولا مؤامرات خارجية.

وبالنظر في نصوص السنة النبوية وجدناها قسمين في هذا الصدد، القسم الأول يحض على التزام الجماعة والترغيب فيها بأن يد اللّٰه معها، وأن الشيطان مع من فارقها وأقرب إليه، ومن ذلك:

• أن الصلاة وهي من شعائر الإسلام حذرت السنة من ألا تقام جماعة حتى لو كان المقام فيهم الصلاة ثلاثة أفراد فقط، وحذرهم من عدم إقامتها بأن معناه استحواذ الشيطان عليهم؛ لأنه إذا انعزل الفرد أصبح الشيطان أكثر قدرة عليه، وهذا يدلك على حرص الإسلام على الاتحاد والتلاقي

حتى لو كان العدد ثلاثة، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَة فِي قَرْيَة وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمْ الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»[٢].

• رغب الإسلام في الجماعة بأن يد اللّٰه معها، وما أدراك ما دلالة هذا

(٢) سنن أبي داود: كتاب الصلاة. باب التشديد في ترك الجماعة.

التعبير! فعَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي أَوْ قَالَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»[٣].

• أن الإسلام شدد في الإبقاء على الوحدة والاتحاد حتى إنه أمر بقتل

---

(٣) سنن الترمذي: كتاب الفتنِ عن رسول اللّٰه. باب ما جاء في لزوم الجماعة، و قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

من أراد أن يفرق جماعة المسلمين كائنا من كان، عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «سيكون بعدي هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد أن يفرق بين أمة محمد ﷺ وأمرهم جميع، فاقتلوه كائنا من كان، فإن يد اللّٰه مع الجماعة، وإن الشيطان

مع من فارق الجماعة يرتكض»[٤].

والقسم الآخر يحذر من الفرقة ومن التنازع على الدنيا الذي يؤدي بدوره للفرقة والخلاف والنزاع، ومن هذه الأحاديث:

- تحذير النبي ﷺ من أسباب الفرقة وعواملها، ومنه التكالب

---

(٤) صحيح ابن حبان: كتاب السير. باب طاعة الأئمة. ذكر إثبات معونة الله جل وعلا الجماعة وإعانة الشيطان من فارقها.

على الدنيا، والتنافس على زهرتها،

عن عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ وَهُوَ حَلِيفٌ لِبَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ كَانَ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ الْعَلَاءَ بْنَ

الْحَضْرَمِيِّ فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ
مِنْ الْبَحْرَيْنِ فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ
بِقُدُومِهِ فَوَافَتْهُ صَلَاةَ الصُّبْحِ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا انْصَرَفَ
تَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حِينَ رَآهُمْ وَقَالَ أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ
بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَنَّهُ جَاءَ بِشَيْءٍ
قَالُوا أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَأَبْشِرُوا
وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ

أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُمْ»[٥].

• التحذير المباشر من الفرقة وخطرها على الجماعة، وعلاجها بأسرع ما يمكن، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي

---

(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق. باب ما يُحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها. وصحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق. باب منه، واللفظ للبخاري.

وَقَّاصٍ قَالَ لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
الْمَدِينَةَ جَاءَتْهُ جُهَيْنَةُ فَقَالُوا إِنَّكَ قَدْ
نَزَلْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَأَوْثِقْ لَنَا حَتَّى
نَأْتِيَكَ وَتُؤْمِنَّا فَأَوْثَقَ لَهُمْ فَأَسْلَمُوا
قَالَ فَبَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَجَبٍ
وَلَا نَكُونُ مِائَةً وَأَمَرَنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَى
حَيٍّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ إِلَى جَنْبِ جُهَيْنَةَ
فَأَغَرْنَا عَلَيْهِمْ وَكَانُوا كَثِيرًا فَلَجَأْنَا
إِلَى جُهَيْنَةَ فَمَنَعُونَا وَقَالُوا لِمَ تُقَاتِلُونَ

فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقُلْنَا إِنَّمَا نُقَاتِلُ مَنْ أَخْرَجَنَا مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ مَا تَرَوْنَ فَقَالَ بَعْضُنَا نَأْتِي نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ وَقَالَ قَوْمٌ لَا بَلْ نُقِيمُ هَاهُنَا وَقُلْتُ أَنَا فِي أُنَاسٍ مَعِي لَا بَلْ نَأْتِي عِيرَ قُرَيْشٍ فَنَقْتَطِعُهَا فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْعِيرِ وَكَانَ الْفَيْءُ إِذْ ذَاكَ مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ فَانْطَلَقْنَا إِلَى

الْعِيرِ وَانْطَلَقَ أَصْحَابُنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ فَقَامَ غَضْبَانًا مُحْمَرَّ الْوَجْهِ فَقَالَ أَذَهَبْتُمْ مِنْ عِنْدِي جَمِيعًا وَجِئْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ؟ إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْفُرْقَةُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا لَيْسَ بِخَيْرِكُمْ أَصْبَرُكُمْ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَبَعَثَ عَلَيْنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ الْأَسَدِيَّ فَكَانَ

أَوَّلَ أَمِيرٍ أُمِّرَ فِي الْإِسْلَامِ»[٦].

• التحذير المباشر من الاختلاف، وهو طريق الفرقة غالبًا، وبيان أن الاختلاف الكلي هو سبب هلاك الأمم، وفي التاريخ ما يُعتبر به، عَنِ النَّزَّالِ بْنِ سَبْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ

(٦) مسند أحمد: ١/١٧٨ رقم (١٥٣٩)، واللفظ له، وضعفه الشيخ الأرناؤوط، ومصنف ابن أبي شيبة: ٧/٣٥٢ رقم (٣٦٦٥١)، وعبد الرزاق في مصنفه: ٧/ ٣٥٢ رقم (٣٦٦٥١).

آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خِلَافَهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَأَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ قَالَ شُعْبَةُ: أَظُنُّهُ قَالَ: لَا تَخْتَلِفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا"(٧).

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ يَمْسَحُ صُدُورَنَا

(٧) صحيح البخاري: كتاب الخصومات. باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهود.

وَمَنَاكِبَنَا وَيَقُولُ: لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الْأُوَلِ"(٨).

وفي القسم الأول لم نعدم تحذيرا من الفرقة والاختلاف، كما لا نعدم في القسم الآخر حضًّا على الوحدة والائتلاف.

(٨) سنن أبي داود: كتاب الصلاة. باب تسوية الصفوف.

المبحث الثاني:

الوطنية ومشروعيتها:

أولا: تعريف الوطنية وموقف الإسلام من دوائر الانتماء:

الوطنية منسوبة إلى الوطن، والوطن الأصلي: هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه، ووطن الإقامة:

موضع ينوي أن يستقر فيه خمسة عشر يومًا أو أكثر من غير أن يتخذه مسكنا[٩].

ولقد أيد الإسلام "الوطنية" دائرة من دوائر الانتماء، ودوائر الانتماء متعددة ومتنوعة، فهناك انتماء

(٩) انظر كتاب التعريفات: ٣٢٧. لعلي بن محمد الجرجاني. تحقيق: إبراهيم الإبياري. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ، والتعريفات والاصطلاحات: ٤٥٥. لابن كمال باشا. تحقيق د. خالد فهمي. مؤسسة العلياء. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م.

للقوم، وهو ما يسمى بـ"القومية"، وهناك انتماء للوطن، وهو ما يسمى بـ"الوطنية"، وهناك انتماء للدين، وهو ما يمكن أن يسمى بـ"الانتماء العقدي"، وهناك الانتماء للبشرية، وهو ما يمكن أن يسمى بـ"الانتماء الآدمي" أو البشري والإنساني.

والإسلام -قرآنا وسنة كما سيأتي- أقر كل هذه الدوائر، واعتبرها

مهمة للتناغم الاجتماعي، وصحة وسلامة النسيج الوطني في المجتمعات البشرية.

ومن المهم هنا أن نشير إلى أن الذين قصروا أنفسهم على القومية أو الوطنية لا يقدِّرون الانتماءات العقدية مثلا، ولا يؤسسون عليها إقامة حياة، بل يعزلونها عن أن تفعل فعلها في الواقع المعيش، وربما

استنكروا أن يكون لها دور إيجابي في هذا، بل يعدون هذا إخراجا لهذا النوع من الانتماء عن دوره الذي لا يصح أن يخرج عنه، وهو دور العبادات، ويقولون إن الدين مطلق، والحياة بمختلف مجالاتها نسبية، ولا يصح أن نسيء للمطلق بالنسبي! ولا شك أن هذا تدليس وتلبيس منهم وعليهم.

بينما الانتماء العقدي - وبخاصة عقيدة الإسلام - هو الوحيد الذي يعترف بالانتماءات الأخرى شريكا في الحياة، وفاعلا في الوجود، ولا يرى بينها تعارضًا، بل يراها متكاملة متناغمة مؤثرة في إقامة حياة آمنة، وإنشاء مجتمعات قوية متماسكة، والدائرة الانتمائية الكبرى هي دائرة الإنسانية التي

يعمل الانتماء العقدي على تعزيزها وجلب الخير لها، فمن مقاصد الإسلام الكبرى تحقيق الخير للإنسانية جمعاء.

ثانيا: الوطنية في القرآن الكريم:

احتفى القرآن الكريم بالوطنية والوطن، ولعل هذا من الموضوعات التي لم تتضح حتى الآن في أدبياتنا

الدعوية بالقدر الكافي، وإن كانت موجودة ومركوزة بتنوع في تضاعيف القرآن الكريم.

• فقد قرن القرآن الكريم بين سفك الدماء وإخراج النفس من الأوطان والديار، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾. سورة

البقرة: ٨٤. وفي سورة النساء نجد المعنى نفسه: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ﴾. سورة النساء: ٦٦. والإشارة بأنه لن يفعله إلا قليل منهم تدلك على عزة النفوس على أصحابها، ومكانة الأوطان والديار في قلوب أهلها، وهذا فيه من حب الوطن والانتماء

إليه ما لا يخفى، لكن إذا كان تركه للّٰه وفي سبيله فيجب أن يهون كل شيء للّٰه ورسوله ونصرة دينه، ولن يفعل ذلك إلا الصادقون أصحاب العزائم القوية والهمم الفتية.

××ومن قيمة الأوطان في الإسلام أنّ جعل اللّٰه تعالى الإخراج منها عقوبة، وهو ما قضاه على يهود بني النضير، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ

أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ ﴾. سورة الحشر: ٢.

• وجعل القرآن الكريم ترك الأوطان ابتغاء فضل اللّٰه ورضوانه ونصرة دينة ـ علامة الصدق والتجرد في الإيمان؛ فالمؤمن لا يترك وطنه إلا مضطرا، وإلا لعقيدته وحفظ دينه، ولا يخرج منه بل يُلجَأ للخروج، وهذا فيه من مكانة الوطن في نفس

المؤمن، وفي نفس الإنسان عموما، وفي دين الإسلام، ما لا يخفى، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾. سورة الحشر: ٨. قال صاحب الظلال: "وهي صورة صادقة تبرز فيها أهم الملامح المميزة

للمهاجرين.. أُخرجوا إخراجا من ديارهم وأموالهم. أكرههم على الخروج الأذى والاضطهاد والتنكر من قرابتهم وعشيرتهم في مكة. لا لذنب إلا أن يقولوا ربنا اللّه، وقد خرجوا تاركين ديارهم وأموالهم «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْواناً» اعتمادهم على اللّه في فضله ورضوانه. لا ملجأ لهم سواه، ولا

جناب لهم إلا حماه"[١٠].

وقال عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾. سورة الحج: ٣٩-٤٠. قال العلامة رشيد رضا: "ذكر في تعليل إذنه لهم بالقتال

(١٠) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٥٢٦. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة.

المذكور ثلاثة أمور، (أولها) كونهم مظلومين معتدى عليهم في أنفسهم، ومخرجين نفيًا من أوطانهم وأموالهم لأجل دينهم وإيمانهم، وهذا سبب خاص بهم بقسميه الشخصي والوطني، أو الديني والدنيوي..."[11].

(١١) تفسير القرآن الحكيم: ٢٢٩/١١. محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٠م، وقال في الأمر الثاني والثالث: «وثانيها: أنه لولا إذن الله للناس بمثل هذا الدفاع، لهدمت جميع المعابد التي يذكر فيها اسم

• وجعل سبحانه وتعالى الإخراج من الديار من أسباب القتال، ومناطًا لعدم الولاية، ومن يتولَّ مَن يقوم

الله تعالى أتباع الأنبياء، كصوامع العباد وبيع النصارى وصلوات اليهود (كنائسهم) ومساجد المسلمين بظلم عباد الأصنام ومنكري البعث والجزاء، وهذا سبب ديني عام صريح في حرية الدين في الإسلام وحماية المسلمين لها ولمعابد أهلها وكذلك كان. (ثالثها) أن يكون غرضهم من التمكن في الأرض والحكم فيها إقامة الصلاة المزكية للأنفس بنهيها عن الفحشاء والمنكر كما وصفها تعالى، والمربية للأنفس على مراقبة الله وخشيته ومحبته وإيتاء الزكاة المصلحة للأمور الاجتماعية والاقتصادية - والأمر بالمعروف الشامل لكل خير ونفع للناس - والنهي عن المنكر الشامل لكل شر وضر يلحق صاحبه أو غيره من الناس».

بالإخراج فهو ظالم، فقال سبحانه:

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي
ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ
عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾. سورة الممتحنة:

٨-٩. والظلم هنا شامل يصدق

عليه ظلم الإنسان لنفسه، ولدينه، ولقومه، ولمجتمعه، ولأمته.

• وبين الله تعالى أن إثابة المؤمنين بتكفير السيئات وإدخال الجنات مترتب على عدد من الحيثيات، منها: الإخراج من الديار في سبيل الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ

أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ
هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ
فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ
عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ
ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾.

سورة آل عمران: ١٩٥. قال العلامة
عبد الرحمن السعدي: "فجمعوا
بين الإيمان والهجرة، ومفارقة

المحبوبات من الأوطان والأموال، طلبا لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله"[١٢]. وقال رشيد رضا: "وناهيك بالإيمان الكامل الباعث على هجر الوطن، ومفارقة الأهل والسكن، وإنفاق المال الذي هو مناط رغائب الدنيا ونعيمها، وبذل

(١٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٦٢. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

النفس التي هي العلة الغائية للبشر من وجودهم؛ جهادا في سبيل اللّٰه، وهي الطريق التي شرعها، والسنن التي سنها، لإعلاء كلمته ونصر رسوله، وإقامة ما شرعه من الحق والعدل لعباده، فلا غرو أن يبشرهم بجميع أنواع الأجر والجزاء"[١٣].

• وقرر القرآن الكريم أن فرض

---

(١٣) تفسير المنار: ١٠/ ١٩٩.

القتال شاق على النفوس، فقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾. سورة البقرة: ٢١٦. ويفسر الإمام القرطبي هذه المشقة فيقول: "وإنما كان الجهاد كرها؛ لأن فيه إخراج المال،

ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى"(١٤).

وهكذا، لو تتبعنا مواضع الوطن والأوطان والوطنية في القرآن

(١٤) الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٣٩. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

الـكـريم بتنوعها وضوابطها وشروطها لوجدنا أن مجال القول ذو سعة، وهو موضوع يستحق أن يُفصَّل في موضوع مستقل في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

ثالثا: الوطنية في السنة النبوية:

كما احتفى القرآن الكريم بالوطن والوطنية احتفت السنة النبوية أقــوالا، وتجلـى ذلـك في السـيرة النبوية أفعالا، تلك السيرة التي تمثل التطبيق العملي للإسلام بعقيدته وشريعته، بعباداته ومعاملاته، بشعائره ومشاعره جميعا.

• ولا يكون حديثٌ عن الوطن وحبه في الإسلام أو الوطنية إلا جاء ذكر الحديث المعروف عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ وَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ: "عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"(١٥).

(١٥) مسند الإمام أحمد: ١٣/٣١. طبعة مؤسسة قرطبة. القاهرة. وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «حديث صحيح على وهم في إسناده». وقال ابن عبد البر: «وهذا من أصح الآثار عن النبي عليه السلام». التمهيد لما في الموطأ

وهو نص نبوي شريف يبين العاطفة الوطنية الصادقة والنبيلة التي كان النبي ﷺ يبثها وطنَه الحبيب الذي أخرجه قومُه منه، والذي حببه اللّٰه إلى نفس نبيه، وكذلك حببه إلى قلوب المؤمنين إكراما لدعاء سيدنا إبراهيم الخليل -عليه السلام- إذ

من المعاني والأسانيد: ٦/ ٣٢. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومحمد عبد الكبير البكري. طبعة مؤسسة قرطبة.

قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾.

سورة إبراهيم: ٣٧.

• وهذه العاطفة الوطنية الصادقة ورثها الصحابةُ -رضي الله عنهم- عن رسول الله ﷺ فها هو

بلال -رضي اللّٰه عنه- فيما يرويه البخاري -رحمه اللّٰه- بسنده عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ قَالَتْ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ، وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ. قَالَتْ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى يَقُولُ:

كُـــلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِـي أَهْلِـه

وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه

وَكَـانَ بِـلَالٌ إِذَا أَقْلَـعَ عَنْهُ الْحُمَّى

يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ وَيَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً

بِوَادٍ وَحَوْلِـي إِذْخِـرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَـاهَ مَجَنَّـةٍ

وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

قَالَتْ عَائِشَةُ فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ"(١٦).

(١٦) صحيح البخاري: كتاب المناقب. باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، والجحفة: «بضم الجيم وسكون المهملة وفتح الفاء، قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة، وكانت تسمى مهيعة». راجع معجم البلدان: ٢/ ١١١. ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله. دار الفكر. بيروت. وانظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك:

والمدينة هي المجتمع الجديد الذي انتقل إليه النبي ﷺ وها هو يدعو الله تعالى -أولَ ما حلَّ فيها- أن يحببها إليه كما حبب إليه مكة أو أشد، ويدعو لها بالبركة والصحة العامة.

وفي هذا درس للأقليات المسلمة العربية في بلاد الغرب اليوم؛ حيث

٤/ ٢٨٧. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١١هـ.

يجب عليهم أن يحبوا هذه الأوطان، ويكونوا جزءًا منها، ويعملوا على إنهاضها ونهضتها، وتطويرها وتحسينها، فالمسلم مأمور بنهضة أي وطن يحل فيه، ويترك أثره المبارك، حتى يعلم الناس جميعا أن الإسلام هو دين العمارة والنهضة والسلم الاجتماعي، وإبعاد أكبر قدر من الشرور عن الناس: ﴿وَانْقُلْ

حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ"،

وإيصال أكبر قدر من الخير لها:

"وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا

وَمُدِّهَا".

ولهذا يقول أستاذنا د. صلاح

الدين سلطان: "ولابد أن يكون

الإنسان صادقاً مع نفسه في

تحديد مدى شرعية الاستيطان في

مكان دون آخر وفقاً لمعيار تحقيق

مـراد اللّه من الإنسان بـأن يكون عابداً له، داعياً إليه، مجاهداً في سبيله، عامراً لأرضه، محسناً إلى خلقه"[١٧].

وقد أراد النبي ﷺ بهذا الدعاء أن يُذهب من نفوس أصحابه الإشفاق عن مفارقة مكة وسكنى المدينة،

---

(١٧) المواطنة بين التأصيل الشرعي وتعدد الولاءات الدينية والطائفية والعرقية. د. صلاح الدين سلطان. دار سلطان لنشر. القاهرة.

والدعاء في أن يحبب الله إليهم المدينة كحبهم مكة؛ فيكرهون الانتقال عنها كما كرهوا الانتقال من مكة.

وفي هذا الدعاء أيضا إشارة إلى أن الأوطان بدون دين الإسلام لا وزن لها، بل ستكون مجرد أتربة وأرض بلا قيمة؛ فالإسلام هو الذي يعطي للأوطان هذه العاطفة الصادقة

النبيلة، ويوجب على المسلم عمارتها وإصلاحها، والعمل على أمنها ونهضتها وسلمها الاجتماعي، سواء أكانت وطنه الأصلي، أم وطنًا آخر.

رابعًا: أنواع الوطنية:

اهتم دعاة الإصلاح في العصر الحديث بالحديث عن الوطنية والاهتمام بالأوطان، ولكن واحدًا من أئمة التجديد له حديث عن

الوطنية وأنواعها لا يمكن تجاوزه في هذا السياق، ألا وهو الإمام حسن البنا الذي تحدث عن القومية وغيرها من الانتماءات ودوائرها، وله حديث عن أنواع الوطنية جميل ومشرق وجديد - فيما أحسب - حيث لم أجد هذه الأنواع عند أحد من علمائنا المعاصرين، ننقل كلامه هنا على طوله لأهميته وجدته.

يقول رحمه الله تعالى: "افتتن كثير من الناس بدعوة الوطنية تارة والقومية تارة أخرى، وبخاصة في الشرق؛ حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها، وأخذت من مالها ومن دمها، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربي الذي فرض

عليها فرضا، فهي تحاول الخلاص منه بكل ما في وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد ، فانطلقت ألسن الزعماء وسالت انهار الصحف، وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية.

حسن ذلك وجميل، ولكن من غير الحسن وغير الجميل أنك تحاول

إفهام الشعوب الشرقية - وهي مسلمة - أن ذلك في الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو في أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك، ولجوا في تقليدهم يعمهون، وزعموا لك أن الإسلام من ناحية، وهذه الفكرة من ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة ويضعف رابطة

الشباب.

هذا الوهم الخاطئ كان خطرا على الشعوب الشرقية من كل الوجهات وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية، وذلك الموقف الذي ارتضوه لأنفسهم، والذي يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم.

١) وطنية الحنين:

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض، وألفتها والحنين إليها والانعطاف حولها، فذلك أمر مركوز في فطر النفوس من جهة، مأمور به في الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالا الذي ضحى بكل شيء في سبيل عقيدته، ودينه هو بلال الذي كان يهتف في دار

الهجرة بالحنين إلى مكة في أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بواد وحولي إذ خر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة وطفيل

ولقد سمع رسول ﷺ وصف مكة من أصيل فجرى دمعه حنينا إليها

وقال: (يا أصيل دع القلوب تقر).

٢) وطنية الحرية والعزة:

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير الوطن من الغاصبين وتوفير استقلاله، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضا وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد، فقال تبارك وتعالى:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المنافقون:٨) ، ويقول: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (النساء:١٤١) .

٣) وطنية المجتمع:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد، وإرشادهم إلى طريق استخدام

هـذه التقوية في مصالحهم، فذلك نوافقهم فيه أيضا، ويراه الإسلام فريضة لازمة، فيقول نبيه ﷺ: (وكونوا عباد الله إخوانا) ، ويقول القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ

ٱلْأَيَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (آل عمران:١١٨).

٤) وطنية الفتح:

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

(البقرة:١٩٣).

٥) وطنية الحزبية:

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر، وتتضاغن وتتراشق بالسباب، وتترامى بالتهم، ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء، وشكلتها الغايات والأعراض، وفسرتها الأفهام وفق

المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالا يفرقهم في الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض، ويحل لهم هذه الصلة به والالتفات حوله فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره؛ فتلك وطنية زائفة لا خير

فيها لدعاتها ولا للناس.

فها أنت ذا قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم في كل معانيها الصالحة التي تعود بالخير على البلاد والعباد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام"[١٨].

(١٨) مجموعة رسائل الإمام البنا: ١٢٦-١٢٩. البصائر للبحوث والدراسات. الجيزة. الطبعة الثانية. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

هكذا تحدث الإمام حسن البنا عن الوطنية وأنواعها منذ سبعة وسبعين عاما؛ حيث نشرت هذه الرسالة في مجلة الإخوان المسلمين العدد الرابع، في ٤ صفر ١٣٥٤هـ الموافق ٧ مايو ١٩٣٥م.

المبحث الثالث:

من قضايا الوحدة الوطنية

أولا: تعريف الوحدة الوطنية:

سبق أن تحدثنا عن الوحدة، وعن الوطنية، وآن الحديث عن الوحدة الوطنية، ولكن مما سبق يتبين لنا حرص الإسلام على الوحدة التي جعلها فريضة وضرورة لإقامة حياة إنسانية فاضلة، وأن الوطن

والوطنية وحب الوطن من الإسلام، بل إن الوطن بلا دين لا يمكن أبدا أن يكتسب هذه الأهمية، ولا تكون له هذه العاطفة تجاهه، وتلك الوشيجة التي تربط بين الإنسان ووطنه.

أما الوحدة الوطنية فنعني بها: "ذلك النسيج الاجتماعي الصحيح القوي الذي يجمعُ أبناءَ وطنٍ

واحد على اختلاف انتماءاتهم بلا فتن طائفية أو نعرات قبلية؛ مُقدِّمين المصلحة العليا للوطن على مصالحهم الخاصة".

وهذا التعريف مأخوذ من روح دعاء النبي ﷺ للمدينة المنورة: "وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ". فهو يريدها مجتمعا

صِحيًّا صَحيحًا قويًّا، مباركًا، بعيدا عن الآفات التي تؤثر على سيره، وتأدية واجباته التي يقيم من خلالها مجتمعا فاضلا.

بالإضافة إلى أن التعريف يجمع مظاهر الوحدة الوطنية السليمة "يجمعُ أبناءَ وطنٍ واحد على اختلاف انتماءاتهم بلا فتن طائفية أو نعرات قبلية"، كما يحتوي على

ضـوابـط وشـروط لـهـذه الـوحـدة:

"مُقدِّمين المصلحة العليا للوطن على مصالحهم الخاصة".

ثانيا: الانتماء العقدي يعزز الانتماء الوطني:

إن "الوطن"، و"الوطنية"، و"المواطنة"، و"الوحدة الوطنية"، و"النسيج الوطني" مصطلحات لا ينكرها الإسلام، بل يعرفها ويؤيدها

ويشهد لها ويعتبرها، وهي إحدى الدوائر الاجتماعية في الإسلام، لا تعارض بينها وبين مصطلح "الأمة الإسلامية"؛ فهو يعرف الجماعة الوطنية أو الجماعة القومية في القطر الواحد، وفي الإقليم الواحد، ويريد من هذه القوميات والعرقيات على اختلاف عاداتها وألسنتها وقيمها وموازينها أن تحيا حياة

كريمة، وتعيش عيشًا آمنا ينظمه الدستور الذي يتواضعون عليه، والقانون الذي يفصل هذا الدستور وينظم العمل به.

كما أن انتماء المسلم إلى دينه "الإسلام" وعقيدته "الإسلامية" لا يتعارض مع انتمائه الوطني، ولا يستلزم بالضرورة المفاصلة الاجتماعية بينه وبين الانتماءات

الدينية المخالفة لدينه وعقيدته، بل إن التصور الإسلامي الصحيح يقضي - فيما نحسب، وكما سبقت الإشارة - بأن الانتماء للإسلام ولعقيدته يعتبر من أهم البواعث التي تعمل على نهضة المجتمع، والتعاون مع كل فصائله وأطيافه على العيش المشترك والحياة الكريمة نحو تحقيق الأمن العام

والنهضة الشاملة؛ ولهذا أباح الإسلام الزواج من أهل الكتاب إعمالا لهذا المبدأ، وتحقيقًا لأكبر حدٍّ ممكن من التواصل والانفتاح على كل ما يمكن أن نلتقي به ونتعاون معه بما لا يتعارض مع الأصول والكليات، وبما لا يمثل إكراهًا ولا إرهابًا للآخرين.

ولهذا يقول د. محمد عمارة:

"وإذا كان الانتماء الأول والأكبر والأساسي، بالنسبة للمسلم، هو إلى الإسلام وأمته، وإلى دار الإسلام وحضارته ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ

يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾. سورة التوبة: ٢٤. فإن تخيير المسلم بين الانتماء للإسلام وبين هذه الدوائر الأخرى للانتماء لا يكون إلا في حالات قيام التعارض أو التناقض والتضاد بين الانتماء إلى الإسلام -كانتماء جامع وأول- وبين الانتماءات الأخرى -كدوائر فرعية- أما إذا

اتسقت دوائـر الانتماء في فكرية الإنسان، وتكاملت في ممارساته الحياتية فلن يكون هناك تناقض في الفكر والعمل الإسلاميين بين كل دوائـر الانتماء الفطري للإنسان.. بل إن الأمر في علاقة الانتماء الإسلامي الوطني ليتعدى حدود "نفي التناقض" إلى دائرة

"الامتزاج والارتباط"[١٩].

ذلك؛ أن العقيدة الإيمانية والانتماء للإسلام يوجب على المسلم تحقيق الأمن في مجتمعه، والعمل على إعمار الوطن، والحث على إنهاضه ونهضته، والحرص على تقدمه وتنوره وريادته وقيادته؛

---

(١٩) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ١٩٤. د. محمد عمارة. طبعة نهضة مصر. القاهرة. الطبعة الثانية. ٢٠٠٤م.

حتى لو لم يكن وطنه الأصلي، أو مسقط رأسه الحقيقي، فالإسلام جاء لعمارة هذه الأرض، والعمل على صلاحيتها للحياة، ليتهيأ المسلم لدوره الذي انتدبه اللّه إليه، ويقوم بواجب العبادة في هذه الدنيا بمفهومها الشامل الذي يُرضي اللّه، ويُسعد الخلق.

ثالثا: دوائر الانتماء المختلفة وتأثيرها على الوحدة الوطنية:

توجد في كل مجتمع هيئات ومؤسسات ونقابات ومجامع واتحادات وروابط وجماعات وأحزاب ومجالس ودعوات، وكل هذه الكيانات لها أعضاؤها المنتمون لها، وقد يتعدد ولاء أو انتماء الفرد

لأكثر من جهة أو كيان من هذه الكيانات، فهل لهذا التعدد تأثير سلبي على الوحدة الوطنية؛ وذلك باعتبار أن لكل انتماء لجهة من هذه الجهات ولاء، وهل يتعارض هذا الولاء مع الولاء للوطن فتتأثر بذلك سلبًا الوحدةُ الوطنية؟

والجواب أنه من المفروض أن هذه الكيانات والهيئات إنما نشأت

لخدمة المجتمع، ولنهضة الوطن الذي نشأت فيه، ومن ثم لا يمكن تصور التعارض بين الولاء لهذه الكيانات والولاء للوطن، إلا إذا كانت هذه الكيانات إنما نشأت لتحقيق مصالح شخصية وإرواء أطماع ذاتية وإن كانت على حساب حرق الوطن وتدميره!

والحق أن الانتماء للإسلام هو

وحـده الـضـامـن لانـسـجـام هـذه الانتماءات جميعا، وتوجيهها وجهة صحيحة، وتوظيف طاقاتها نحو خدمة المجتمع وإنهاضه، يقول د. محمد عمارة: "فلأن الإسلام منهاج شامل لمملكة السماء وعالم الغيب وللعمران البشري وسياسة وتدبير عالم الشهادة، فإن إقامته كدين لا تتأتى إلا في واقع ووطن

ومكان وجغرافيا.. وهذا الواقع والوطن والمكان والجغرافيا لن يكون إسلامياً إلا إذا أصبح الانتماء الوطني فيه بعداً من أبعاد الانتماء الإسلامي العام.. فعبقرية المكان في المحيط الإسلامي هي واحدة من تجليات الإسلام الذي لا تكتمل إقامته بغير الوطن والمكان والجغرافيا!.. ومن هن تأتي ضرورة

الـوطـن لإقـامـة "دنيا الإسلام" وعمرانه، وضرورة الدين، ليكون الوطن إسلاميّا وتتحقق إسلامية عـمـرانـه، أي ضـــرورة أن يكون الانتماء الوطني -الوطنية- درجة مـن درجـات سلم انـتـمـاء المسلم إلـى الإســلام، كجامع أكـبـر وأول لأبعاد ودوائر الانتماء.. فالإسلام هو الـذي يستدعي ويتطلب وجود

الـوطـن والـوطـنـيـة؛ لأنـه لا تكتمل إقـامـتـه دون وطـن يتجسد فيه.. فليس هـو بـالـديـن الـذي تكتمل إقامته "بالخلاص الفردي".. كما أن "خلاص" المسلم و"تقدمه" لا يمكن إلا أن يكون إسلاميّاً!..

وهـذه الحقيقة الإسـلامـيـة هي الـتـي مـيـزت مـذهـب الإسـلام في "حدود" الوطن و"نطاقه" فعلى

حين وقفت مذاهب وفلسفات عند "حدود العرق"، فإن الإسلام قد رفض هذا المعيار الجاهلي؛ لأن رب الناس واحد، وأباهم واحد، والتقوى والاستباق في الخيرات هي معايير التفاضل بين الناس.. وعلى حين وقفت مذاهب وفلسفات رسم حدود الوطن عند "اللغة" وحدها، فإن الإسلام قد جعل العربية لسان

الدين، وسبيل الدولة والعقل المسلم لفقه الدين والاجتهاد فيه، فلم يعرض التناقض بين آفاق الدين ونطاق اللغة العربية على وجه الخصوص..

وعلى حين اكتفت مذاهب وفلسفات، في تحديد حدود الوطن "بجغرافيا الإقليم"، فإن الإسلام قد سلك الجغرافيا والأقاليم في سلك ديار

الإسلام، تلك التي وحدتها العقيدة والشريعة والأمة والحضارة، مع التمايز في القبائل والشعوب والأوطان والأقوام.. فاجتمعت في منظومته كل من العالمية والأممية مع الوطنيات والقوميات، دونما تناقض أو تعارض أو عداء.

وهذه الحقيقة -في علاقة الإسلام بالوطنية- هي التي جعلت للوطن

والوطنية ذلك المقام العالي في ظل الانتماء الإسلامي الذي لا يقف عند حدود وطن بعينه ولا يتقيد بوطنية من الوطنيات دون سواها[٢٠].

وقد سئل شيخنا الإمام يوسف القرضاوي عن تعدد الأحزاب في الدولة الإسلامية، ومدى مشروعيته، فأجاب بقوله:

---

(٢٠) معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام ١٩٤-١٩٥.

"رأيي الذي أعلنته من سنين في محاضرات عامة، ولقاءات خاصة: أنه لا يوجد مانع شرعي من وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة الإسلامية، إذ المنع الشرعي يحتاج إلى نص ولا نص.

بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة

معينة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وتحكمها في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لم ؟ كما دل على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع.

كل ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعية وجودها أمران أساسيان:

١- أن تعترف بالإسلام - عقيدة وشريعة- ولا تعاديه أو تتنكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص في فهمه، في ضوء الأصول العلمية المقررة.

٢- ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، أيًا كان اسمها وموقعها.

فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو

يطعن في الأديان السماوية عامة، أو في الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام: عقيدته أو شريعته أو قرآنه، أو نبيه عليه الصلاة والسلام....

إن تكوين هذه الأحزاب أو الجماعات السياسية أصبحت وسيلة لازمة لمقاومة طغيان السلطات الحاكمة ومحاسبتها، وردها إلى سواء

الصراط، أو إسقاطها ليحل غيرها محلها، وهي التي يمكن بها الاحتساب على الحكومة، والقيام بواجب النصيحة والأمر بالمعروف، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب...

وعندما نجيز مبدأ التعدد الحزبي داخل الدولة الإسلامية، فليس معناه أن تتعدد الأحزاب، والتجمعات

بتعدد أشخاص معينين، يختلفون على أغراض ذاتية، أو مصالح شخصية، فهذا حزب فلان، وذاك حزب علان، وآخر حزب هيان بن بيان. جمعوا الناس على ذواتهم، وأداروهم في أفلاكهم.

ومثل ذلك التعدد المبني على أساس عنصري، أو إقليمي، أو طبقي، أو غير ذلك من إفرازات العصبية،

التي يبرأ منها الإسلام.

إنما التعدد المشروع هو تعدد الأفكار والمناهج والسياسات يطرحها كل فريق مؤيدة بالحجج والأسانيد، فيناصرها من يؤمن بها، ولا يرى الإصلاح إلا من خلالها.

وتعدد الأحزاب في مجال السياسة أشبه شيء بتعدد المذاهب في مجال الفقه....

ومثل ذلك الحزب: أنه مذهب في السياسة، له فلسفته وأصوله ومناهجه المستمدة أساسًا من الإسلام الرحب. وأعضاء الحزب أشبه باتباع المذهب الفقهي، كل يؤيد ما يراه أولى بالصواب، وأحق بالترجيح"[٢١].

---

(٢١) من فتوى طويلة باختصار في كتاب فتاوى معاصرة: ٢/ ٦٥٢. د. يوسف القرضاوي. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

وهذه الكيانات التي يضمهما مجتمع من المجتمعات، أو وطن من الأوطان قد تكون ضرورية أيضا لإحداث التوازن السياسي والاجتماعي في المجتمع حتى لا يترك المجتمع فريسة لهيئة أو جماعة أو اتحاد أو رابطة، وهو ما يصب مباشرة في تعزيز الوحدة الوطنية والسلم الاجتماعي.

على أن هذا التنوع يجب أن يكون اختلاف تنوع وتخصص بحيث تقوم كل هيئة أو كيان بدور تؤديه في نهضة المجتمع، لا أن يكون اختلاف تضاد وتنازع وتهارج، ويجب أن يكون هناك تنسيق إيجابي بين هذه الكيانات حتى تتحقق الأهداف المرجوة من هذه الهيئات في إحداث نهضة المجتمع، وتقوية وحدته

وسلامة نسيجه الاجتماعي.

رابعًا: تحقيق الوحدة الوطنية من المقاصد الاجتماعية للإسلام:

وتحقيق "الوحدة الوطنية" بحد ذاته مقصد من مقاصد الإسلام الاجتماعية العليا، وهدف من أهداف تشريعاته وتدابيره؛ ويقع تحقيقه على عاتق كل فرد بعينه،

وعلى مؤسسات المجتمع، وعلى العلماء والدعاة، وعلى الدولة نفسها بأجهزتها وهيئاتها ومؤسساتها عبر بيان أهميتها، والدعوة إليها، وبيان عوائدها، وذكر عوامل تحقيقها وتمثُّلها، وتوضيح خطورة غيابها، وبيان ما يهددها أو يؤثر عليها تأثيرًا سلبيًّا، وعدم التفريق في الحقوق والواجبات إلا على أساس

الكفاءة وامتلاك المؤهلات اللازمة لواجب معين أو حق محدد.

ولقد كانت هذه المعاني حاضرة منذ بدايات التاريخ، ومنذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، الذي دعا الله تعالى لمجتمعه بالأمن والأمان والإيمان والاطمئنان، ولن يكون هذا إلا حين يتمتع المجتمع بالسلامة الاجتماعية التي هي

مؤشر على تحقيق الوحدة الوطنية، فقال الله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾. سورة البقرة: ١٢٦. وقال جلَّ وعزَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾. سورة إبراهيم: ٣٥.

وما كانت "وثيقة المدينة" التي أرساها النبي محمد ﷺ بعد أن

استقر له الأمر في المدينة المنورة إلا أنموذجًا حضاريًّا راقيًا لأسمى ما يمكن أن تصل إليه الدساتير التي توضع للعيش المشترك ووحدة النسيج الاجتماعي في الوطن الواحد على اختلاف الأديان والأعراق والأجناس والقيم والموازين.

وكان مما جاء في بنودها: "وأنّ يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين،

ليهودَ دينُهم، وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسهم إلاّ من ظلم أو أثم فإنّه لا يُوتغ (يهلك) إلاّ نفسه، وأهل بيته. وأنّ ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف. وأنّ ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف. وأنّ ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف. وأنّ ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف. وأنّ

ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف. وأنّ ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلاّ من ظلم أو أثم فإنّه لا يوتغ إلاّ نفسه وأهل بيته. وأنّ جَفْنَةَ بطنٌ من ثعلبة كأنفسهم. وأنّ لبني الشُّطَيبَة مثل ما ليهود بني عوف، وأنّ البر دون الإثم. وأنّ موالي ثعلبة كأنفسهم. وأنّ بطانة

يهود كأنفسهم"[٢٢].

فهل نجد في دساتير الدنيا نصوصا كهذا، وهل توجد دساتير سابقة أو لاحقة عليه تعمل على سلامة المجتمع ووحدته الاجتماعية والوطنية كما يثمر هذا النص؟! اللهمَّ لا.

---

(٢٢) راجع: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ٦١، جمعها محمد حميد الله. دار النفائس. الأردن. الطبعة السادسة. ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م، وهي المواد من: ٢٥-٣٥، وقد تضمنت الوثيقة ٤٧ مادة دستورية بلغتنا المعاصرة.

ولعل من أبرز ما يعين على تحقيق هذا كله أن نتبنى حوارًا بين أطياف المجتمع، ونقاشًا لقضاياه الواحدة، واهتمامًا بالشأن العام الذي يجمع الجميع، ويهم الجميع، ويتوافق عليه الجميع، وإدراكًا للمخاطر التي تحيق بالمجتمع وتهدده، والتحديات التي تواجهه، وتنازلاً عن بعض الجزئيات، وتركيزًا على الكليات،

وغضًّا للطرف عن المصالح الفئوية مقابل تحقيق المصالح الاجتماعية العامة الشاملة، وجلبًا لأعظم المصالح بتفويت أدناها، ودرءًا لأعظم المفاسد بارتكاب أهونها.

كما أن جميع الجهات ومؤسسات الدولة يجب أن تكون على قلب رجل واحد، وتجمعها خطوط عامة في هذا الموضوع تعمل على تحقيقه

وتفعيله؛ فيكون في مؤسساتنا التعليمية، وفي الأسر مع الوالدين والأبناء، وفي أجهزة الإعلام، وأجهزة الأمن؛ حتى يتحقق ذلك بأقل وقت وجهد ومال، ويدوم بين أبناء الوطن الواحد.. وإلا فإن جهة واحدة إذا عملت على تحقيق ذلك وتقوم جهة أخرى بالهدم فلن نتقدم خطوة واحدة، كما إذا اهتم

التعليم بالقضية وقام الإعلام بالهدم، أو قام الإعلام بالبناء وفرَّطت الأسرة، وهكذا..

وقد قال الشاعر:

متى يبلغ البنيانُ يومًا تمامَهُ
إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ

وقال الآخر:

فلو ألفُ بانٍ خلفَهم هادمٌ كفى
فكيفَ ببانٍ خلْفَهُ ألفُ هادمِ

الخلاصة

١) للوحدة أهمية واضحة في القرآن الكريم؛ فقد أمر بها صراحة، ونهى عن الفرقة والاختلاف، وبين صور وحدة الأمة، وذكر أسباب الفرقة، ورسم معالم أسباب الوحدة.

٢) للسنة النبوية اهتمام بالوحدة أيضا؛ حيث وجدنا نصوصها في هذا الصدد قسمين: الأول: يحض

على التزام الجماعة والترغيب فيها بأن يد الله معها، وأن الشيطان مع من فارقها وأقرب إليه، والثاني: يحذر من الفرقة ومن التنازع على الدنيا الذي يؤدي بدوره للفرقة والخلاف والنزاع.

٣) اهتم الإسلام بالوطنية، وجعلها من دوائر الانتماء المعتبرة؛ فالإسلام وحده هو الذي يعترف

بتعدد الانتماءات، ويوظف مسارها في اتجاه متكامل متناغم مثمر فاعل، بعكس الانتماءات الأخرى التي لا تعترف بغيرها.

٤) احتفى القرآن الكريم بالوطنية، وأعلى قيمة الوطن، وأغلى مكانته في نفس الإنسان، وقرنه بالمهج والأرواح.

٥) اهتمت السنة النبوية بالوطن

وقيمته ولم تستنكر حنين الإنسان إليه، بل جعلت ذلك من علامات الإسلام وآيات الإيمان.

٦) للوطنية أنواع كثيرة؛ فهناك وطنية الحنين، ووطنية الحرية العزة، ووطنية المجتمع، ووطنية الفتح، ووطنية الحزبية، وهذا ما أصلهه الإمام حسن البنا وفصله كما لم يفصله أحد قبله.

٧) الوحدة الوطنية هي ذلك النسيج الاجتماعي الصحيح القوي الذي يجمعُ أبناءَ وطنٍ واحد على اختلاف انتماءاتهم بلا فتن طائفية أو نعرات قبلية؛ مُقدِّمين المصلحة العليا للوطن على مصالحهم الخاصة.

٨) انتماء المسلم إلى دينه "الإسلام" وعقيدته "الإسلامية"

لا يتعارض مع انتمائه الوطني، ولا يستلزم بالضرورة المفاصلة الاجتماعية بينه وبين الانتماءات الدينية المخالفة لدينه وعقيدته، بل إن التصور الإسلامي الصحيح يقضي بأن الانتماء للإسلام ولعقيدته يعتبر من أهم البواعث التي تعمل على نهضة المجتمع، والتعاون مع كل فصائله وأطيافه

على العيش المشترك والحياة الكريمة نحو تحقيق الأمن العام والنهضة الشاملة.

٩) تعدد الولاءات والانتماءات في المجتمع لا يصح أن يكون متعارضًا، بل يجب أن يكون اختلافها اختلاف تنوع وتخصص بحيث تقوم كل هيئة أو كيان بدور تؤديه في نهضة المجتمع، لا أن يكون اختلاف تضاد

وتنازع وتهارج، ويجب أن يكون هناك تنسيق إيجابي بين هذه الكيانات حتى تتحقق الأهداف المرجوة من هذه الهيئات في إحداث نهضة المجتمع، وتقوية وحدته وسلامة نسيجه الاجتماعي.

١٠) تحقيق "الوحدة الوطنية" بحد ذاته مقصد من مقاصد الإسلام الاجتماعية العليا، وهدف

من أهداف تشريعاته وتدابيره؛ ويقع تحقيقه على عاتق كل فرد بعينه، وعلى مؤسسات المجتمع، وعلى العلماء والدعاة، وعلى الدولة نفسها بأجهزتها وهيئاتها ومؤسساتها عبر بيان أهميتها، والدعوة إليها، وبيان عوائدها، وذكر عوامل تحقيقها وتمثُّلها، وتوضيح خطورة غيابها، وبيان

ما يهددها أو يؤثر عليها تأثيرًا سلبيًّا، وعدم التفريق في الحقوق والواجبات إلا على أساس الكفاءة وامتلاك المؤهلات اللازمة لواجب معين أو حق محدد.

أهم المراجع

١) القرآن الكريم.

٢) التعريفات والاصطلاحات. لابن كمال باشا. تحقيق د. خالد فهمي. مؤسسة العلياء. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣) التعريفات. لعلي بن محمد الجرجاني. تحقيق: إبراهيم

الإبـيـاري. دار الـكتـاب الـعـربـي. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ.

٤) تفسير القرآن الحكيم. محمد رشيد رضا. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٠م،

٥) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومحمد عبد الكبير البكري. طبعة مؤسسة قرطبة.

٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٧) الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا - الإمام محمد بن علي السنوسي ومنهجه في التأسيس. علي محمد الصلابي. مكتبة

الصحابة بالإمارات ومكتبة التابعين بالقاهرة. الطبعة الأولى. ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

٨) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري. دار الجيل. بيروت.

٩) الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه

(المشهور بصحيح البخاري).
محمد بن إسماعيل البخاري.
تحقيق محمد زهير بن ناصر
الناصر. دار طوق النجاة. الطبعة
الأولى ١٤٢٢هـ.
١٠) الجامع الصغير من أحاديث
البشير النذير. جلال الدين عبد
الرحمن السيوطي.
١١) الجامع الصغير وزيادته.

محمد ناصر الدين الألباني. طبعة المكتب الإسلامي. بيروت.

١٢) الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

١٣) سنن أبي داود.أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

دار الكتاب العربي. بيروت.

١٤) سنن الترمذي. أبو عيسى الترمذي. تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

١٥) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤١١هـ.

١٦) صحيح ابن حبان. محمد بن حبان بن أحمد البستي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.

١٧) فتاوى معاصرة. الجزء الثاني. لشيخنا د. يوسف القرضاوي. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

١٨) في ظلال القرآن. سيد قطب.

دار الشروق. القاهرة.

١٩) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني. طبعة دار إحياء التراث العربي.

٢٠) مبادئ في الحوار والتقريب. لشيخنا د. يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. القاهرة.

٢١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. جمعها محمد حميد الله. دار النفائس. الأردن. الطبعة السادسة. ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م.

٢٢) مجموعة رسائل الإمام البنا. البصائر للبحوث والدراسات. الجيزة. الطبعة الثانية. ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل.

الإمـــام أحـمـد بـن حنبل. تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثانية. ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.

٢٤) معجم البلدان. ياقوت بن عبد اللّٰه الحموي أبو عبد اللّٰه. دار الفكر. بيروت.

٢٥) المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة. الطبعة الثالثة.

٢٦) الملل والنحل. محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني. تحقيق محمد سيد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. ١٤٠٤هـ.

٢٧) المواطنة بين التأصيل الشرعي وتعدد الولاءات الدينية والطائفية والعرقية. لأستاذنا الدكتور صلاح الدين سلطان. دار سلطان لنشر. القاهرة.

السيرة الذاتية للمؤلف

الاسم: وصفي عاشور علي أبو زيد.

مكان الميلاد وتاريخه: محافظة كفر الشيخ بجمهورية مصر العربية: ١١ جمادى الثاني١٣٩٥هـ الموافق: ١٩٧٥/٦/٢٠م.

عنوان المراسلة:

wasfy75@gmail.com

المؤهلات والخبرات:

- إجازة القرآن الكريم المسندة برواية حفص عن عاصم.
- دكتوراه في مقاصد الشريعة الإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بمرتبة الشرف الأولى في يوليو ٢٠١١م، بعنوان: «المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي، دراسة تأصيلية

تطبيقية».

- ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس ٢٠٠٥م، بعنوان: «نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية».

- ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة

١٩٩٧م.

- إجـازات مسندة في بعض كتب السنة وعلوم الحديث ومصطلحه.
- إجـازة في العلوم الشرعية من الإمام يوسف القرضاوي.
- شـارك في عـدد مـن المـؤتمـرات الدولية في مصر وقطر والمغرب والجزائر والكويت.

- شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي جدة .
- عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.
- عضو مجلس أمناء ومكتب تنفيذي رابطة علماء أهل السنة.
- مستشار دعوي وإيماني لموقع إسلام أون لاين. نت.

- مستشار دعوي وإيماني لموقع الإسلام اليوم.
- عضو الجمعية الفلسفية المصرية منذ عام ٢٠٠٥م.
- عضو الاتحاد العربي للإعلام الإليكتروني.
- باحث شرعي بالمركز العالمي للوسطية بالكويت (٢٠٠٦م - ٢٠١٢م).

• نشرت له الصحافة الورقية والإليكترونية مئات المقالات والأبحاث في الفقه والأصول، والفكر والدعوة، والتربية، وشئون الأسرة، وغيرها.

المؤلفات:

• نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية.

• في ظلال سيد قطب، لمحات من

حياته وأعماله ومنهجه التفسيري.

- الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام.
- محفوظ نحناح رمز الإسلام المعتدل في الجزائر.
- مشاركة المرأة في العمل العام.
- المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية.

- رعاية المقاصد في منهج القرضاوي.
- كلمات في صناعة الداعية الفقيه.
- منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة.
- أهمية القرآن في حياة المسلم.
- أسس التعامل مع القرآن الكريم.
- الجهاد في سبيل الله... مقاصد

وآثار.

- معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف.
- القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية.
- مقاصد الأحكام الفقهية، تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية.

- حفظ الأسرة في الإسلام، قراءة في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها.
- الوحدة الوطنية في الإسلام مفهومها. ضوابطها. مقاصدها.
- بيان غير المسلمين لدينهم في مجتمع المسلمين بين الجواز والمنع.

المحتوى

العنوان	الصفحة
تقديم.	٣
مقدمة.	١٣
المبحث الأول: الوحدة وأهميتها:	٢١
أولا: تعريف الوحدة.	٢١
ثانيًا: الوحدة في القرآن الكريم.	٢٣
ثالثًا: الوحدة في السنة النبوية.	٥٥

العنوان	الصفحة
المبحث الثاني: الوطنية ومشروعيتها:	٧١
أولا: تعريف الوطنية وموقف الإسلام من دوائر الانتماء.	٧١
ثانيا: الوطنية في القرآن الكريم.	٧٧
ثالثا: الوطنية في السنة النبوية.	٩٥
رابعًا: أنواع الوطنية.	١٠٧

العنوان	الصفحة
المبحث الثالث: من قضايا الوحدة الوطنية:	١٢٣
أولا: تعريف الوحدة الوطنية.	١٢٣
ثانيا: الانتماء العقدي يعزز الانتماء الوطني.	١٢٧
ثالثا: دوائر الانتماء المختلفة وتأثيرها على الوحدة الوطنية.	١٣٧
رابعًا: تحقيق الوحدة الوطنية من المقاصد الاجتماعية للإسلام.	١٥٨

العنوان	الصفحة
الخلاصة.	١٧٠
أهم المراجع.	١٨٠
السيرة الذاتية للمؤلف.	١٩٢
فهرس الموضوعات.	٢٠٣

كلمة الغلاف

إذا كان الحديث عن الوحدة الوطنية أمرا له أهميته وضرورته؛ فإن الحديث عن طبيعة الوحدة ومفهوما، وطبيعة الوطنية ومشروعيتها، وطبيعة قضاياها وضوابطها، ونظرة الإسلام لها، ومقاصد الإسلام من ورائها أمر أكثر خطورة، وأعمق أهمية، وأبعد أثرا؛ إذ به نقف على أهمية الوحدة الوطنية، وضوابط إجرائها بما لا يطغى على الانتماءات الكبرى، وما تحققه من نتائج، وما يُثمره تطبيقها من غايات ومقاصد تحقق السعادة لأبناء الوطن الواحد، وتجعله قوة متماسكة نحو النهضة والبناء الحضاري، كما تجعله صخرة قوية في وجه أي مؤامرات خارجية، إلى غير ذلك من مقاصد وغايات.